الشعر التعليمي :

فنٌّ أدبيٌّ جديد . اقتحم الشعراءُ بابه في العصر العباسي . تسهيلاً لحفظ العلوم واستظهار المعارف ولاسيما بعد الاقبال على التعلّم والرغبة الشديد في طلب المعرفة . وهو في الغالب يفتقر الى العاطفة والخيال ويخاطب العقل . ويتميز بطول النفس الشعري واعتماده الرجز وتنوع القافية .

ويُعدُّ أبان بن عبدالحميد اللاحقي فارسَ الشعراء في هذا اللون من النظم . فله مزدوجةٌ في خمسة آلاف بيت تقريباً كما يقول ابن المعتز(٣٦٣) . استفرغ فيها كتاب كليلة ودمنة . وقد نقل الصولي منها بضعةً وسبعين بيتاً . جاء فيها(٣٦٤) :

---

(٣٦١) شعره ص ١٩٢ .

(٣٦٢) الأغاني ١٢ ، ٢٢٧ .

(٣٦٣) طبقات الشعراء ص ٢٦١ .

(٣٦٤) أخبار الشعراء المحدثين ص ٩٦ ، وينظر الاغاني ٢٢ ، ١٥٥

وربـــما كان هلاك الـــشَّـــجرِ في حسنِ الغصنِ وطيب الثمرِ
وذنبُ الـطاووس فـهو زَيـنُـه كذاك أحـيـاناً وفـيـه خـيْـنـه
وباذلُ النصح لمن لم يشكُره كطارح في سَبَخ ما يبذره
لاخيرَ للعاقل في ذي المنظرِ إنْ هو لم يحمدْهُ عند المخبرِ
وليس في الصديق ذي الصَّفاء خيرٌ إذا لم يكُ ذا وفاءِ

وله أيضاً مزدوجة طويلةٌ شرح فيها أحكام الصوم والزكاة . أولها :(٣٦٥)

هذا كتابُ الصَّومِ وهو جامعُ لـكـلِّ ما قامـتْ بـه الـشَّرائـعُ
مِـن ذلـك الـمُـنزَّل في الـقرآنِ فضلاً على مَنْ كان ذا بيانِ
ومـنـه ماجاء عـن الـنـبـيِّ من عـهدِهِ الـمـتَّبع الـمرضـيِّ
صـلَّى الآلـهُ وعـلـيـه سَـلَّـما كـمـا هَدى الله بـه وعـلَّـما

وسلك ابنه حمدان بن ابان هذا المسلك . ونظم مزدوجةً في وصف الحبّ وأهله . منها(٣٦٦)

يأأيُّـها الـنـاسُ فـعُوا وصـيـتـي واسـتـمـعوا
ففي صفاتي عجبٌ وفـي كـتـابـي أدب
قـصـيدتـي مـقوَّمةٌ ألـفاظُـها مـنـظَّـمةْ
فـيـها هوى العشـاق ومـنـيةُ الـمـشتاق

وفي علم الحيوان نظم بِشْرُ بن المُعْتَمِر قصيدتين فيهما غرائب وفرائد كما قال الجاحظ .(٣٦٧) وفي تاريخ الطب نظم اسحاق بن حنين قصيدة(٣٦٨) . وفي علم الفلك نظم محمد بن ابراهيم الفزاري مزدوجة طويلة تقع مع تفسيرها في عشرة مجلدات، كما يقول ياقوت الحموي . أولها(٣٦٩)

الـحـمد لله الـعَـلـي الأعـظـم ذي الفَضْلِ والمجد الكبيرِ الأكرم
الواحدِ الفَردِ الجوادِ المنعم
الـخالـقِ الـسَّـبْـعِ الـعُـلَـى طـباقا والشمسَ يجلو ضوؤها الإغـاقا
والبدرَ يملأ نورُهُ الآفاقا

إن فئة كبيرة من شعراء العصر العباسي الأول كان شعرهم يجاري الأقدمين تارة . والمحدثين تارة أخرى . ومن أشهرهم بشار بن برد . وأبو نواس . ومروان بن ابي حفصة . ومسلم بن الوليد . وأبو الشيص . ودعبل الخزاعيّ . والحسين بن مُطير الأسديّ . وعمارة بن عقيل . وكلثوم بن عمرو العتّابي . وأبو تمام . وعبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي ... فمن النماذج الرصينة القوية قول أبي نواس من قصيدة يمدحُ بها الخليفة هارون الرشيد(٢٠٤)

انا اليك من الصليت فداسم ... طلع النّجاد بنا وجيفُ الأنيق(٢٠٥)
يتبعن مائرة الملاط . كأنّما ... ترنو بعينيّ مقلتٍ لم تفرق(٢٠٦)
خنساء ترعى جؤذراً بخميلة ... وبها اليه صبابةٌ كالأولق(٢٠٧)
حتى اذا وجدتهُ لم ترَ عندهُ ... الاّ مجرّ إهابه المتمزّق

في هذه الأبيات يصف الشاعر حنين الابل واشتياقها الى أعطانها . ويشبهها ببقرة وحشية ترنو الى ابنها في خميلة . وليس لها سواه . لأن كلّ أولادها تموت أو لأنها ولدته ولم تلد بعده . فلما ذهبت اليه وجدته قتيلاً فأُولعتْ عليه . وأُرزمتْ له فهو يشبه هذا بهذا . وهذه الصورة التي رسمها النواسي تشبه أختاً لها عند الخنساء في رثاء أخيها صخر في رائتيها المشهورة . ومن النماذج السهلة الميسورة الخفيفة على الأسماع قول مروان بن أبي حفصة في مُقدمة قصيدة يمدح بها الخليفة المهدي(٢٠٨)

طرقتك زائرة فحيّ خيالها ... بيضاءُ تخلطُ بالحياء دلالها
قادتْ فؤادك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوبَ الى الصبا فأمالها

---

(٢٠٤) ديوانه ص ٤٠٠
(٢٠٥) الصليت وداسم ، اسما موضعين . النجاد ، مفردة النجد . وهو ماارتفع من الأرض . الوجيف ، نوع من السير السريع .
(٢٠٦) المائرة،المضطربة الملاط ، جانبا السنام . المثلث المرأة لا يعيش لها ولد .
(٢٠٧) الأولق ، المجنون .
(٢٠٨) شعره ص ٩٦ .

ومنها في المديح :

أحيا أميرُ المؤمنين محمدٌ ... سُنَنَ النبيّ حرامها وحلالها
ملكٌ تفرّع نبعةً من هاشم ... مدّ الإلهُ على الأنام ظلالها
جبلٌ لأمتهِ تلوذُ بركنه ... راذى جبالَ عدوّها فأزالها

وهناك فئةٌ أخرى من الشعراء سلكتْ طريقاً سهلاً ميسوراً . يسميهم نجيب محمد البهبيتي أنصار المدرسة الشعبية(٢٠٩) . وهم كثيرون وعلى رأسهم أبو العتاهية . والعباس بن الأحنف . وربيعة الرقّي . وقد سار شعرهم بين محبي الأدب ، ووجد الناس فيه مراحاً من كدّ القريحة . وإعمال الذهن . ومهرباً من النّصب الذي يلقونه في قراءة غيرهم من الشعراء(٢١٠) وحسبنا من شعر هذه المدرسة قول ربيعة الرقّي متغزلاً بفتاة تُدعى غُنمة(٢١١)

حمامةُ بلّغي عنّي سلاما ... حبيباً لاأطيقُ له كلاما
وقولي للتي غضبتْ علينا ... علامَ . وفيمَ ياسكني علاما

الشعر فنٌ جميل تستهويه النفوس « مثله مثل التصوير والموسيقى والنحت . وهو في أغلب أحواله يخاطبُ العاطفة . ويستثيرُ المشاعر والوجدان . وهو جميلٌ في تخيُّرِ ألفاظه . جميلٌ في تركب كلماته . جميلٌ في توالي مقاطعه وانسجامها . بحيث تتردّدُ ويتكرّرُ بعضها فتسمعه الآذان موسيقى ونغماً منتظماً »(٣١٩)

ان للشعر خصائص موسيقية . تأتيه ـ في الغالب ـ من الوزن والقافية . وقد اهتمُ بهما الدارسون القدامى . فقال ابن رشيق : « الوزن أعظم أركان خدّ الشعر . وأولاها به خصوصية . وهو مشتملٌ على القافية وجالب لها ضرورة . إلاّ أنْ تختلفَ القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن . وقد لايكون عيباً نحو المخمسات وما شاكلها »(٣٢٠)

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي الرائد الأول في تسجيل أوزان الشعر . اذ نظر في التراث الشعري فعرف منه خمسةَ عشرَ وزناً على نحو ماهو معروف في علم العروض . ثم جاء أبو الحسن الأخفش فاستدرك عليه وزناً نادراً أسماهُ المتدارك . وقد ألمّ الشعراءُ العباسيون بهذه الأوزان ونظموا على تفعيلاتها . التي تمثل الوحدات الصوتية . وكان الميل في كثير من الأحيان الى الأوزان القصيرة والمجزوءة . ولا سيما الذي يُغنّى به . اذ يستدعي الرشاقة والعذوبة والنعومة والخفّة ويلائم حياة القصور والحانات والخمائل وما فيها من نعيم ولهو وطرب وألحانٍ ... والشيء الذي نقف عنده قليلاً هو بحر المجتث الذي نظر اليه النقاد القدامى نظرة استصغار . قال حازم القرطاجني : « أما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما»(٣٢١) » . فاننا نخالف هذا الرأي . فهو ـ وان كان قليلاً في أشعار المتقدمين كما يقول أبو العلاء المعري(٣٢٢) ـ محبب الى النفوس . وأكثر استجابة للغناء وطواعية للموسيقى . لذلك نظم فيه الشعراء في العصر العباسي . أمثال بشار بن برد(٣٢٣) . ومطيع

(٣١٩) موسيقى الشعر ص ٧ .
(٣٢٠) العمدة ١ : ١٢٤ .
(٣٢١) منهاج البلغاء ص ٢٦٨
(٣٢٢) الفصول والغايات ١ : ١٣٢ .
(٣٢٣) ديوان بشار ١ : ١٥٧

ابن اياس(٣٢٤) . والعباس بن الأحنف(٣٢٥) ومن جاء بعدهم . واليك هذه الأبيات من بحر المجتث من قصيدة لمطيع بن اياس :

ويلـيَ مـمّـنْ جـفانـي ... وحـبّـهُ قد بَرانـي
وطـيـفُـهُ يـلـقانـي ... وشـخـصُـهُ غـيرُ دانٍ
أغرُّ كالـبدرِ يُـعـشى ... بـحـسـنـهِ الـعـيـنانِ
جارَيْ، لاتـعـذلانـي ... في حـبّـهِ ودعانـي

ومن المقتضب قول أبي نواس(٣٢٦) :

حامـلُ الـهوى تـعـبُ ... يـسـتـخـفُّـهُ الـطـرَبُ
إنْ بـكـى يـحـقُّ لـه ... لـيـس مابـهِ لـعـبُ
تـضـحـكـين لاهـيةً ... والمـحـبُّ يـنـتـحـبُ ؟
تـعـجـبـيـنَ مِـنْ سُـقـمـي ؟ ... صـحّـتـي هـيَ الـعـجـبُ
كـلّـمـا انـقـضى سـبـبٌ ... مـنـكِ عاذَ لـي سَـبَـبُ

تصرّف بعض الشعراء بالأوزان المعروفة . كما استحدثوا أوزاناً أخرى تلائم الأذواق آنذاك وتنسجم مع روح العصر . وكان عبدالله بن هرون بن السُمَيْدع البصري أولَ مَنْ أقدم على ذلك . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني : « أخذ العروض من الخليل بن أحمد . فكان مقدّماً فيه . وانقطع الى آل سليمان بن علي وأدّبَ أولادهم . وكان يمدحهم كثيراً . فأكثر شعره فيهم . وهو مقلّ جداً . وكان يقول أوزاناً من العروض غريبةً في شعره . ثم أخذَ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العروضي . فأتى فيه ببدائع جمّة . وجعل أكثر شعره من هذا الجنس »(٣٢٧) . ومن

والعصر الإسلامي والأموي . وقد تساهل الأصمعي حين ختم الشعر بابن هرْمة وابن ميّادة وأضرابهما من شعراء نجد والحجاز الذين ادركوا الدولة العباسية(٣٣٢)

لقد تسرّبت كثير من الالفاظ والافكار الى الساحة الأدبية من الاقوام الذين امتزجوا بالعرب وتصاهروا مع الكثيرين منهم . ومن يراجع الكتب التي عُنيت بالألفاظ الدخيلة مثل « المعرب » لأبي منصور الجواليقي . و « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي يجد ألفاظاً كثيرةً أصبحت مألوفة الاستعمال في الشعر والنثر . مثل . الفالوذج . والديباج . والطيلسان . والخوان . والطشت . والابريق . والمهرجان . والنيروز . والمارستان . والدسكرة . والقولنج . . والترياق . والهيولى . والاسطرلاب . والقيراط ... ومن أكثر الشعراء استخداماً للألفاظ غير العربية أصلاً أبو نواس . وكان أحياناً يأتي بها على وجه التظرُّف والتملُّح كما يقول الجاحظ(٣٣٣) . كذلك وَفَدتْ الى العربية بعض ألفاظ التبجيل مثل الحضرة والجناب . والادارية مثل صاحب الشرطة وصاحب الستار ...

وشاع استعمال الألفاظ المركبة مع لا النافية في حالة التعريف كاللانهاية . واللاضرورة . واللاارادة ... وكذلك صياغة الأسماء من الحروف والضمائر مثل الكمية والكيفية والماهية والهوية ... كما أدخلت الألف والنون قبل ياء المتكلم مثل نفساني وروحاني ... وهذه وتلك من خواص اللغة الآرية كما يقولون(٣٣٤)

وضمن بعض الشعراء ألفاظ المتكلمين والفلاسفة في شعرهم مثل ، الحركة والسكون والروح والجسد والكل والبعض والجوهر والعرض والجزء والقليل والأقل ... وقد استشهد الجاحظ في هذا المجال بشعر أبي نواس في جنان جارية آل عبدالوهاب الثقفي :(٣٣٥)

---

(٣٣٢) الأغاني ٤ ، ٣٣٣ .

(٣٣٣) البيان والتبيين ١ ، ١٤١ وللنظر الأبيات الشعرية التي فيها ألفاظ أعجمية في كتاب اللن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٢٢ ـ ١٢٤ .

(٣٣٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ ، ٤١ .

(٣٣٥) البيان والتبيين ١ ، ١٤١ وينظر ديوان أبي نواس ص ٢٣٣ .

وذاتِ خدٍّ مورّدٍ فتّانةِ المتجرّدْ(٣٣٦)
نأمُلُ العينُ منها محاسناً ليس تنفدْ
فبعضُها قد تناهى وبعضها يستولدْ
والحسنُ في كلِّ عضوٍ منها معادٌ مردّدْ

ولأبي نواس أيضاً(٣٣٧)

ياعاقدَ القلبِ منّي هلاّ تذكرتَ حلاّ
تركتَ منّي قليلاً من القليلِ أقلاّ
يكادُ لا يستجزّا أقلّ في اللفظِ من « لا »

وهكذا تجاوز الشعراءُ على المعجم الشعري الأصيل . واستخدموا الفاظاً وتراكيب أعجمية فضلاً على المصطلحات العلمية والفقهيةُ والفلسفيّة والصوفيّة وسواها . وقد ابتعد بعض الشعراء عن السليقة مما هيأ لظهور اللحن والخروج أحياناً عن القياس الصرفي(٣٣٨) . وكان علماء اللغة لهم بالمرصاد . كلما انحرفوا دلّوهم على انحرافهم . ويفيض كتاب الموشح للمرزباني في مآخذ هؤلاء العلماء عليهم .

مَنْ مبلغُ الأمير أخي المكرماتِ مِدْحَةً محبَّرَةً في أُلوكْ (٣٢٩)
تزدهي كواسطةٍ في النِّظام فوقَ نَحْرٍ جاريةٍ تستبيكْ
يابْنَ سادةٍ زُهْرٍ كالنُّجومِ أفلحَ الذين هُمْ أنجبوكْ

واذا دقّقنا في وزن هذه الأبيات وجدناه عكس المنسرح . وهذا ليس بغريب . اذ لجأ عدد من الشعراء الى أوزان مهملة ولّدها الخليل بن أحمد الفراهيدي من عكس دوائر البحور . من ذلك :(٣٣٠)

بحر المستطيل : وهو عكس الطويل . وأجزاؤه (مفاعلين . فعولن . مفاعيلن . فعولن) .
بحر الممتد : وهو عكس المديد . وأجزاؤه (فاعلن . فاعلاتن . فاعلن . فاعلاتن) .
بحر المتوافر : وهو محرّف الرمل . وأجزاؤه (فاعلاتك . فاعلاتك . فاعلن)
بحر المتئد : وهو مقلوب المجتث . وأجزاؤه (فاعلاتن . فاعلاتن . مستفع لن) .
بحر المطرد : وهو مقلوب التفعيلتين الأوليين من بحر المضارع . وأجزاؤه (فاعلاتن . مفاعيلن . مفاعيلن) .
بحر المنسرد : وهو مقلوب التفعيلتين الأخيرتين من بحر المضارع أيضاً . وأجزاؤه (مفاعيلن . مفاعيلن . فاعلاتن) .

وكان أبو العتاهية من أكثر الشعراء الذين أطلقوا أنفسهم على سجيتها لتخلق وتبتكر الأوزان التي تليق بما يقولون من الشعر . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني : وله أوزان لاتدخل في العروض .(٣٣١) . وقال بن قُتيبة : « وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب »(٣٣٢) واستشهد بهذه الأبيات من شعره :

عُتْبَ ، ما للخيالِ خبريني وما لي ؟
لا أراه أتاني زائراً مُذْ ليالي
لو رأني صديقي رقَّ لي أو رثى لي
أو يراني عدوي لانَ من سوءِ حالي

(٣٢٩) الأولك : الرسالة .
(٣٣٠) معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ١٢٢ .
(٣٣١) الأغاني ٤ : ١٢ .
(٣٣٢) الشعر والشعراء ص ٦٧٦ .

والقافية كما هو معروف شريكُ الوزن في الاختصاص بالشعر . فهو القرار الذي ينتهي اليه كل بيت . فتحدث مع الوزن وحدة موسيقية في القصيدة(٣٣٣) . وقد جدد الشعراء العباسيون في القافية كما جددوا في الأوزان . فاستحدثوا ماسموه باسم المزدوج والمسمط والمخمس ... أما المزدوج فالقافية فيه لاتطّرد في الابيات . بل تختلف من بيت الى بيت . في حين تتحد في الشطرين المتقابلين . كما شاهدنا في النماذج التي أوردناها في الشعر التعليمي . أما المسمّط فهو قصائد تتألف من أدوار . تعتمد على قطب واحد يسمّى عمود المسمط . وكل دور يتركّب من أربعة أشطر تتّفق في قافية واحدة ماعدا الشطر الأخير فانه يستقل بقافية تشابه قافية العمود التي بدأبها الشاعر . ومن أمثلته مسمّطة لأبي نواس في وصف الخمرة (٣٣٤)

سُلافٌ دنٌّ كشمسٍ ذجنْ
كدمعِ جفنٍ كخمرِ غدنْ

فاحتْ بريحٍ كريحِ شبيحْ
يومَ صبوحْ وغيمِ دجنْ

يسقيكَ ساقٍ على اشتياقِ
الى تلاقٍ بماءِ مُزْنِ
يامَنْ لحاني على زماني
اللهو شاني فلا تلمني

والمخمس شبيه بالمسمّط . فهو يعتمد على الأدوار . كلّ دور يتكون من خمسة

أبو تمام الطائي
١٨٨ ـ ٢٣١ هـ

اسمه ومولده :

هو ابو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس . وتمام ابنه . ولد بقرية « جاسم » على يمين الطريق الممتد بين دمشق وطبرية . وقد اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها . ولعل سنة ١٨٨ للهجرة أقرب الى الصحة . لأن اكثرهم يرجحون هذا التاريخ ومنهم ابنة تمام . فيقول : « ولد ابي سنة ثمانٍ وثمانين ومئة . ومات سنة احدى وثلاثين ومئتين »(٥٠٩)

نسبه :

انّ الخلاف في نسبه وأصله كبير ايضاً . فقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني ان أبا تمام من نفس طيق صليبةُ . واسمه حبيب بن أوس .(٥١٠) وعدّد ابن خلكان جدوده وأوصله الى يعرب بن قحطان .(٥١١) وقيل . انّ أباه كان رجلاً نصرانياً يدعى تدوسُ فحَرفه ابو تمام الى أوس وانتسب الى طيء . وذهب مرجليوث وطه حسين الى أنه تيودوس . وهو اسم يوناني . وكان هذا نصرانياً يبيع الخمر في دمشق وأن ابنه نشأ في حجرة نشأة نصرانية . ولكنه أسلم وترك دمشق وذهب الى مصر فأقام فيها فترة .(٥١٢) وانكر البهبيتي نصرانية ابيه وقال : « دعك من نصرانية ابيه . فما كانت الا افتراء خصوم ابي تمام » .(٥١٣)

ان نصرانية أبيه ـ انْ صحّتْ ـ لاتنفيه من العرب ولا من طيء . فقد كانت النصرانية شائعة من قديم فيها . ويشهد لذلك فخره المضطرم بطيء . وانه اختار منها اكثر ممدوحيه . ونوّه تنويهاً عظيماً بمن سجلوا لها في عصره امجاداً حربيةً . مما يدل على أنه طائي وعربي أصيل .(٥١٤)

---

(٥٠٩) نزهة الألباء في طبقات الادباء ص ١٠٨ . وينظر اخبار ابي تمام للصولي ص٢٣٣ . وتهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ٤ : ١٨ ، ٣٦ .

(٥١٠) الاغاني ٦ ، ٢٨٢ صليبة : اي ليس من مواليها ولا حلفائها

(٥١١) وفيات الاعيان ٢ : ١١ .

(٥١٢) من حديث الشعر والنثر ص ٩٢ . وتنظر مادة ابي تمام في دائرة المعارف الاسلامية

(٥١٣) ابو تمام الطائي ص ٩٢ .

(٥١٤) ينظر العصر العباسي الاول للدكتور شوقي ضيف ص ٣٦٩ .

سيرته :

نشأ أبو تمام في دمشق بعد انتقاله اليها مع أبيه . واشتغل في مطلع حياته عاملاً صغيراً في حانوت للحياكة . وفي اثناء ذلك كان يتردد الى حلقات الدرس ويسمع مايدور على أفواه العلماء والادباء من علوم اسلامية اصيلة او وافدة مثل الفلسفة اليونانية . وتنقل كثيراً في سبيل التعلّم . وكانت رحلته الاول الى حمص . حيث أفاد من الشاعرين عتبة بن عبدالكريم الطائي . وعبدالسلام بن رَغبان المعروف بديك الجن . وانتفع بما عندهما من معرفة بصنعة الشعر . وبعدها شدّ رحاله الى مصر ونزل المسجد الجامع في الفسطاط ليكسب معاشاً وينهل علماً . وأسعفته قدرته على قرض الشعر الجيد منذ الوهلة الاولى وتسخيره للمدح كما يفعل كثير من الشعراء . فنظم قصيدة في مدح صاحب الشرطة والخراج عيّاش بن لهيعة الحضرميّ . منها قوله .(٥١٥)

وما ضيقُ أقطارِ البلادِ أضافني إليكَ ولكن مذهبي فيك مذهبي(٥١٦)
وأنت بمصرٍ غايتي وقرابتي بها وبنو الآباء فيها بنو أبي

وفي رواية للصولي ان أبا تمام قال عن هذه القصيدة انها « أول شعر قلته ... ومدحت به عياش بن لهيعة فأعطاني خمسة آلاف درهم »(٥١٧) ولا تتّسق هذه الروايه مع عتاب أبي تمام للممدوح فيما بعد ولامع هجائه له . ومع ذلك قد يحصل أن يمدح شاعر شخصاً ثم ينقلب عليه فيهجوه كما فعل مسلم بن الوليد مع يزيد بن مزيد الشيباني(٥١٨)

عاد الى موطنه دمشق سنة ٢١٤ للهجرة بعد مكوثه في مصر اكثر من خمسة

واحدة فاقفا الشطر الاخير فانه يستمر بقافيه تشابه قافيه العمود التي يبدأ بها الشاعر . ومن أمثلتهِ مسمّطة لأبي نواس في وصف الخمرة (٣٣٤)

شُـــلافٌ ذنٌ كـــشـــمـــس ذجُـــنِ
كدمـــــع جفْـــــنِ كـــــخـــــمر غدْنِ

فاحـــــتْ بريـــــح كريـــــح شـــيـــــح
يوم صـــــبوح وغـــيـــــم دجـــــنِ

يـــــقـــيـــك ساقٍ على اشـــــتـــــياقِ
الـــــى تـــــلاقٍ بمـــــاء مُـــــزْنِ
يامَـــــنْ لـــــحانـــــي على زمانـــــي
الـــــلـــــهو شانـــــي فلا تـــــلُـــــمـــــني

والمخمسُ شبيه بالمسمّط . فهو يعتمد على الأدوار . كلّ دور يتكون من خمسة أشطر . الاربعة الأولى متّحدة القافية . والخامس قافيته ثابته وهو بمثابة اللازمة . واليكَ هنا الدور من خمسة لأبي نواس :(٣٣٥)

ماروضُ ريـــحانـــكـــم الزاهرْ وما شَذى نـــشركـــم الـــعاطرْ
وحـــــقّ وجدي . والـــــهوى قاهرْ مذ غبتمْ لم يبقَ لي ناظرْ
والقلبُ لاسالٍ ولا صابرْ

---

(٣٣٤) أبو فراس الحمداني . حياته وشعره ص ٢٩٢ .
(٣٣٤) ديوان أبي نواس ص ٢٤٦ .
(٣٣٥) حياة الحيوان للدميري ١ : ٩٦ .

ويطالعنا أبو العتاهية بأبيات شعرية لم نألفها من قبلُ . فهي لاتقرأ الاّ قطعة واحدة متصلة . على الرغم من تقفية صدور الأبيات وأعجازها .(٣٣٦)

ياذا الذي في الحبّ يَلْحى أما والله لو كُـلّـفْـتَ مـنـه كـما
كُلّفْتُ مـن حـبّ رخـيـم . لما لُمتَ على الحبِ . فذرني وما
ألقى . فانّي لستُ أدري بما بُـلِـيـتُ إلاّ أنّـنـي بـيـنـما
أنا بباب القصرِ ـ في بعض ما أطوفُ في قصرهم ـ اذ رمى
قـلـبـي غزالٌ بـسـهام . فـما أخطابها قـلـبـي . ولـكـنـما
سـهـماهُ عـيـنانِ لـه . كـلّـما أرادَ قـتـلـي بـهـما سـلّـما

فلما فرغ منها نثر عليه ألف دينار .

وقبل عودته الى العراق . عرّج على همدان . واستضافه أبو الوفاء بن سلمة أحد أدباء البلد ونُزاتها . وصادف سقوط الثلوج بكثافة في هذا الاقليم . فأعاقه عن السفر . وجلس في مكتبة أبي الوفاء وأكبّ على الكتب التي تحويها هذه المكتبة وصنّف خمسة مجاميع في الشعر منها الحماسة . والوحشيات . كما يقول أكثر الدارسين .(٤٢٤) واننا لا نتفق مع هذا الرأي . لان المرء مهما أوتي من قدرة وقوة لا يستطيع ان يقرأ في مدة ثلاثة شهور كل الشعر العربي ويختار منه خمسة كتب . واننا نذهب الى ماذهب اليه الآمدي بأن أبا تمام « كان مشتهراً بالشعر . مشغوفاً به . مشغولاً مدة عمره بتخيره ودراسته »(٤٢٥) وربما كانت مدة اقامته مكملة لعمله السابق الذي خططه لنفسه في جميع الشعر في مختارات . وانه استغلّ هذا الانقطاع للتفرغ لهذا العمل بدلاً من نظم الشعر والوقوف به على أبواب الممدوحين . رجع أبو تمام الى اصبهان ومنها الى سُرّ من رأى . وأخذ يتغنى بانتصارات القواد على بابك الخرمي الذي دوّخ الدولة منذ سنة ٢٠١ للهجرة . ونازله رجال كثيرون . وأخيراً قبض على الأفشين في اوائل سنة ٢٢٣ للهجرة . وهو من اكبر قواد المعتصم . وجاء به مقيداً الى سُر مَن رأى وفيها صُلِبَ جزاء بغيه وخروجه على الدولة . وأخذ الشعراء وفي مقدمتهم ابو تمام يباركون للخليفة بهذا النصر يقول من قصيدة بهذا الظفر .(٤٢٦)

فتوحُ أمير المؤمنين تفتّحتْ لهنّ أزاهيرُ الرُبا والخمائل
وعادتْ نصرٍ لم تزلْ تستعيدُها عصابةٌ حقّ في عصابةِ باطل
فهذا دواءُ الداء من كل عالمٍ وهذا دواء من كلّ جاهل

وحينما أغار تيوفيل إمبراطور بيزنطة على مدينة « زبطرة » ونكّل بأهلها وسبى نساءها . نهض المعتصم على نداء الهاشمية الأسيرة . وامعتصماه ! وهتف لبيك لبيك . وخرج بنفسه يدوس ديار هذا الامبراطور الى أن وصل الى عموريّة . وكان يحميها تسعون ألفا من الروم . فحاصرها . ثم انقضّ عليها وفتحها . وكسر أنوف المتجبرين المعتدين . وأخذ للتذكار باباً حديدياً عظيماً من أبواب هذه المدينة

---

(٤٢٤) ينظر بحثنا (نظرة في حماسة أبي تمام) مجلة بين النهرين ، العدد ٢٧ لسنة ١٩٧٩ .
(٤٢٥) الموازنة ص ٥١ .
(٤٢٦) ديوانه ٢ : ٨٩ .

وأحضره الى بغداد وقد رآه ابن الطقطقا فقال ، « وهو الآن على أحد أبواب دار الخلافة يسمّى باب العامة »(٤٢٧) . وسجّل أبو تمام وقائع هذه المعركة في قصيدة تُعَدُّ من عيون الشعر العربي . مطلعها .(٤٢٨)

السّيف أصدق أنباءً من الكُتُبِ في حدّه الحدُّ بينَ الجدّ واللّعب

وأصبحت لأبي تمام مكانة لائقة ومتميزة عند الخليفة المعتصم وابنه أحمد . وقويت علاقته بالوزراء والكتاب والقواد ولاسيما محمد بن عبدالملك الزيات الوزير الشاعر . وكاتبه وكاتم سره الحسن بن وهب . وحظي عند الجميع تقديراً واكراماً ومهاداة . وعندما خرج الأفشين عن طاعة الدولة وظهرت خيانته أمر المعتصم بسجنه ثم اعدامه . ووقف أبو تمام فأنشد الخليفة قصيدة في غاية السبكِ والحبك مطلعها .(٤٢٩)

الحقُّ أبلجُ والسّيوف عواري فحذارِ من أسد العرين حذارِ

وفي سنة ٢٢٧ للهجرة توفي الخليفة المعتصم ورحل الى بارئه وخلّفهُ ابنه الواثق ونظم أبو تمام بهذه المناسبة قصيدة مطلعها .(٤٣٠)

مالدموع تروم كلّ مرامٍ والجفنُ ثاكلُ هجعةٍ ومنام !
ياحُفرة المعصوم تربُكِ مُودَعٌ ماء الحياة وقاتل الاعدام

يا أيُها الملكُ الهمامُ وعدلُهُ ملكٌ عليه في القضاءِ هُمامُ
أوريتَ زندَ عزائمٍ تحت الدُجى أسرجْنَ فكركَ والبلادُ ظلامُ
فنهضتَ تسحبُ ذيلَ جيشٍ ساقهُ حُسْنُ اليقينِ وقادهُ الاقدامُ
حتى نقضتَ الرومَ منكَ بوقعةٍ شنعاءَ ليس لنقضِها إبرامُ

لم يظفر أبو تمام عنده بما كان يحلم به أو يتأمله . وراح ينظم شعرا في رثاء بطل من طيء هو محمد بن حميد الطائي الذي كافح بابك الخرمي كفاحاً مريراً وخانه القدر فسقط في ميدان النضال . وأخذ هذا الشعر يحتلّ مكانةً ممتازةً في الأوساط الادبية ولا سيما قصيدته التي يقول في مطلعها ،(٤٢٠)

كذا فليجلُّ الخطْبُ وليفدح الأمرُ فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عُذرُ

وكان يحبّ التنقّل والتطواف وانتجاع الأقاليم والثغور في العالم الاسلامي الذي عده وطناً واحداً له . وقد صورَ هذه الحالة أصدق تصوير في ابياته الاولى من قصيدته التي مدح بها محمد بن حسّان الضبي ،(٤٢١)

ما اليوم أوّلَ توديعٍ ولا الثاني البينُ أكثرُ من شوقي وأحزاني
خليفةُ الخضرِ مَن يزبعْ على وطنٍ في بلدةٍ فظهورُ العيسِ أوطاني
بالشامِ أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتينِ وبالفسطاط اخواني
وما أظنُّ النوى ترضى بما صنعت حتى تُطوّحَ بي أقصى خراسانِ(٤٢٢)

انه على سفرٍ دائم . وترحلٍ قائم . على ظهور الابل . يطوفُ البلادَ وكأنه خليفة الخضر . فأهله في الشام . وهواهُ في بغداد . وهو بالرقمتين . واخوانه بمصر . وقد يطرح به النوى أقصى خراسان . هكذا حقاً كان أبو تمام . فتراه يرتحل الى الموصل ومنها الى ارمينية . وينال عطاءً وافراً من واليها خالد بن يزيد الشيباني . ثم يقفل راجعاً الى بغداد بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨ للهجرة ويجد حُظوةً عند المعتصم وكبار رجال الدولة . منهم محمد بن يوسف الثغري القائد الذي هزّم بابك الخرمي ثم قصد خراسان واستقبله واليها عبدالله بن طاهر استقبالاً حافلاً ومن معه من الكتاب والشعراء . وأنشد أمامه قصيدةً قوية جزلة المعاني . مطلعها ،(٤٢٣)

---

(٤٢٠) ديوانه ٤ : ٧٩

(٤٢١) ديوانه ٢ : ٢٠٨

(٤٢٢) وهناك رواية ثانية : حتى تسافر بي . وثالثة : حتى تفارقه بي .

(٤٢٣) الاغاني ١٩ : ٢٨٩ . وينظر الديوان ١ : ٢١٦ .

هنّ عوادي يوسفٍ وصواحبُهْ فعَزْماً فقَدْماً أدرَكَ السُؤْلَ طالبُهْ

فلما فرغ منها نثر عليه ألف دينار .

وقبل عودته الى العراق . عرّج على همدان . واستضافه أبو الوفاء بن سلمة أحد أدباء البلد ونزاتها . وصادف سقوط الثلوج بكثافة في هذا الاقليم . فأعاقه عن السفر . وجلس في مكتبة أبي الوفاء وأكبّ على الكتب التي تحويها هذه المكتبة وصنّف خمسة مجاميع في الشعر منها الحماسة . والوحشيات . كما يقول أكثر الدارسين .(٤٢٤) واننا لا نتفق مع هذا الرأي . لان المرء مهما أوتي من قدرة وقوة لا يستطيع ان يقرأ في مدة ثلاثة شهور كل الشعر العربي ويختار منه خمسة كتب . واننا نذهب الى ماذهب اليه الآمدي بأن أبا تمام « كان مشتهراً بالشعر . مشغوفاً به . مشغولاً مدة عمره بتخيره ودراسته »(٤٢٥) وربما كانت مدة اقامته مكملة لعمله السابق الذي خططه لنفسه في جميع الشعر في مختارات . وانه استغلّ هذا الانقطاع للتفرغ لهذا العمل بدلاً من نظم الشعر والوقوف به على أبواب الممدوحين . رجع أبو تمام الى اصبهان ومنها الى سُرّ من رأى . وأخذ يتغنى بانتصارات القواد على بابك الخرمي الذي دوّخ الدولة منذ سنة ٢٠١ للهجرة . ونازله رجال كثيرون . وأخيراً قبض على الأفشين في اوائل سنة ٢٢٣ للهجرة . وهو من اكبر قواد المعتصم . وجاء به مقيداً الى سُرّ مَن رأى وفيها صُلِبَ جزاء بغيه وخروجه على الدولة . وأخذ الشعراء وفي مقدمتهم ابو تمام يباركون للخليفة بهذا النصر يقول من قصيدة بهذا الظفر ،(٤٢٦)

فتوحُ أمير المؤمنين تفتّحتْ لهنّ أزاهيرُ الرُبا والخمائل
وعادتْ نصرٍ لم تزلْ تستعيدُها عصابةُ حقٍّ في عصابةِ باطل
فهذا دواءُ الداء من كل عالمٍ وهذا دواء من كلّ جاهل

وحينما أغار تيوفيل إمبراطور بيزنطة على مدينة « زبطرة » ونكّل بأهلها